امريكا الحقيقية وكان الناس فيه حقيقين ، وكان في نظره افضل افلامه الامريكية . اما فيلم « امرأة على الشاطىء » فكان نوعا من سوء المغامرة . وما كان يثير اهتمام رينوار من القصة اصلا ، انما هو شخصية المرأة التي « عاشت للحب فقط »، لكنه بعد أن بدأ باخراج الفيلم اكتشف بكثير من الأسى ان القوانين تمنعه من تطوير الشخصية بالطريقة التي يجب أن تتطور بها . ونتيجة لذلك ، اضطر رينوار ، في المواقف التي كانت تستدعي معالجة عاطفية مباشرة ، أن يلجأ للحيلة وللهراء الفني غير المترابط (من هنا كانت السمة شبه السريالية للوضع كله ، والتنافرات المزعجة لقصة هانز ايسلر).

بالنسبة لرينوار ليس هناك في الفيلم ما هو أهم من التكامل العاطفي للعلاقة الانسانية التي يصفها . والتكنيك مفيد وضروري بقدر ما يساهم في تحقيق هذا التكامل . أما ما عدا ذلك فيكون دخيلا بصورة عامة واستعراضيا . « ففي امريكا » قال رينوار « يهتمون كثيرا بالتكنيك ويهملون الجانب الانساني ».

سألت رينوار عن رأيه في الاتجاه الامريكي الحديث نحو الواقعية التسجيلية ، فأجاب « لاشيء جديد هنا . لقد صورت معظم لقطات « الوحش البشري » في اماكن متفرقة من الهافر ، ولم اصنع الا القليل من الاطر لفيلم « ابن الجنوب ». لكنني لست دوغمائيا فيما يتعلق بهذا الأمر . انني اعتقد ان اعداد الاطار مفيد وضروري احيانا . وعلى أي حال ، اذا كان الناس لا يتصرفون بطريقة واقعية فليس هنالك ضرر في جعلهم يقدمون اعمالهم بناء على خلفيات واقعية . كذلك ، فقد سمعت قصصا عن استخدام ممثلين غير محترفين ، وهذا امر لا أفهمه على الاطلاق .

هل تعتقد ان ممثلا غير محترف يمكنه ان يحل محل ريمو أو غابين ؟ أنا لا أعتقد ذلك . وانني ، شخصيا ، أكن احتراما كبيرا لمهنة التمثيل ». ان رينوار . وبكل ما لديه من خبرات واسعة ، متحرر الى حد مدهش من المذاهب الجمالية . وأظن أنه لخص هذا تلخيصا رائعا حين قال : « كل مرة أخرج فيها فيلما جديدا ، اشعر وكأنني طفل يعرف السينما لأول مرة .»

رأيت رينوار مرة ثانية في فندقه ، قبل يوم واحد من رحيله الى اوروبا . وكان يحمل معه حقيبة ملأى بالتذكارات ، اشترى بعضها بنفسه من الأسواق المحلية ومحلات بيع النفائس . كان رينوار خلال الأسابيع الأربعة التي قضاها في كالكوتا ، قد ارتحل وراقب وتأمل . وكانت البنغال قد استحوذت عليه بسحر مناظرها الطبيعية وجدّتها من جهة ، وما فيها من صورة القذارة والبؤس والفقر من جهة اخرى . لقد راقبته في احدى المرات وهو يجتاز بنوع من النشوة كوخا بسيطا ثم ينتقل الى نوع من القنوط الكئيب لدى رؤيته شحاذا . أما زيارته الى منجم فحم فقد اثارته الى درجة جعلته يقول : « لو تستطيعون فقط أن تتخلصوا من هيمنة هوليوود وأن تطوروا أساليبكم ، اذن فسوف تنتجون افلاما عظيمة هنا .»

كان على رينوار أن يعود الى كالكوتا مع وحدته في شهر تشرين الثاني الذي يعد أفضل وقت لتصوير اللقطات الخارجية في الهند . وبالطبع ، كان ينبغي اعادة كتابة النص . « هذه المرة ، وحين أكون في لندن ، ينبغي ان اجلس مع رومر غودين لنتاقش القصة . وقد اطلب منه ان يجري بعد التعديلات عليها واضافة بعض الشخصيات . فربما وجود عائلة هندية في الفيلم يبين التناقض بين طريقة الهنود في الحياة وطريقة الاجانب . ولسوف تكون فكرة جيدة . . ».

حين خرجت من الفندق في ذلك المساء شعرت بقناعة تامة وهي انه ما يزال هناك قدر لا بأس به من الطاقة الابداعية لدى رينوار . ولعل فيلم « النهر » سيكون بداية مرحلة جديدة وحيوية بعد كل ما أصيب به من خيبات أمل في هوليوود . وبما أنه أصبح الآن مواطنا امريكيا ، فان فرص عودته الى باريس باتت بعيدة نوعا ما . مع ذلك فان الشيء المهم هو أن يبتعد عن الجو الاصطناعي لهوليوود . وقد تكون الهند أفضل ملجأ له . فمما لا شك فيه أن رينوار سينال حريته هنا ، اذ لن تكون هنالك جداول تقييد ولا ضبط واعادة ضبط لاهاماته . وبالطبع ، لن تصل القطارات هنا في وقتها المحدد .

فن تشكيلي

معرض الفنان الفلسطيني ك . نقولا في صوفيا

بشراء في الافكار وقوة في المعالجة

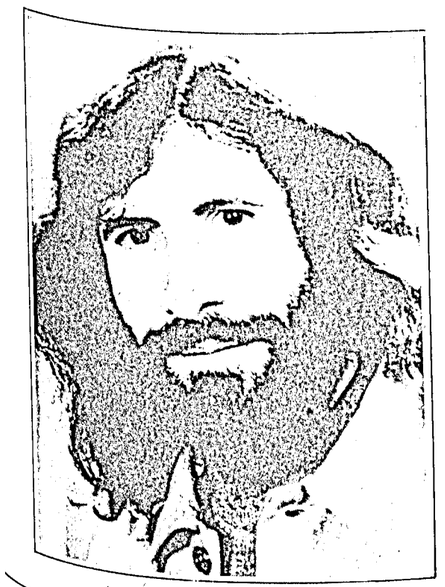

صوفيا ـ عدنان جابر

الاسم : فدائي
الجنسية : فلسطيني
العنوان : فلسطين

هذه الكلمات الثلاث هي أول ما يجابهك وانت تدخل صالة « لجنة الثقافة » في ساحة لينين في العاصمة البلغارية . ثلاث كلمات مكتوبة على ظرف كبير « بالبريد الجوي » يستلقي على علم فلسطين الساطع القوي . ربما وضع الفنان نقولا هذا الملصق في الواجهة والمواجهة ليكون تعبيرا عن الانتماء والموقف ورفض الغربة ، ورداً على المرحلة .

التحق ك . نقولا بأكاديمية الفن في صوفيا عام ١٩٧٣ ضمن اختصاص « الملصق ». واثناء دراسته نال جائزة الميدالية الذهبية لتفوقه ونال جوائز اخرى لنشاطه السياسي والاجتماعي . في عام ١٩٧٩ وتحت اشراف الاستاذ « الكسندر بوبليلوف » انهى دراسته في اكاديمية الفن بتفوق . وفي حزيران ١٩٨٢ دافع عن اطروحة الدكتوراه التي كتبها عن « الملصق السياسي الفلسطيني » ونال الدرجة العلمية : مرشح في العلوم الفنية .

اقام الفنان نقولا اثناء دراسته في جمهورية بلغاريا الشعبية ٢٦ معرضا في عدة مدن بلغارية . ونظمت هذه المعارض من قبل الكومسمول البلغاري (اتحاد الشبيبة الديمتروفي الشيوعي) مجلس التعليم العالي في وزارة التربية ولجنة التضامن مع شعوب اسيا وافريقيا واتحاد طلبة فلسطين في بلغاريا . واقيمت هذه المعارض بمناسبات يوم التضامن مع نضال الشعب الفلسطيني والاعياد الوطنية لجمهورية بلغاريا الشعبية .

كما اقام الفنان نقولا ٣ معارض فنية في اليونان واشترك في معارض الملصق الفلسطيني في بيروت ودمشق والكويت . وفي عام ١٩٨١ نال الجائزة الاولى في الملصق بمناسبة الذكرى السابعة عشرة لانطلاقة الثورة الفلسطينية .

مشوار طويل في رحلة الفن عند ك . نقولا بدأها في مدينة بيت جالا الفلسطينية حينما اشتغل في الاشكال الفنية والحفر على الخشب .

لقد نال الفنان ك . نقولا شهادة الدكتوراه في الفن ورحلته مع الفن . . مستمرة .

احتجاج . . مقاومة

المعرض الحالي للفنان ك . نقولا استمر من ١٧ ـ ١ حتى ٦ ـ ٢ ـ ١٩٨٣ في صالة « لجنة الثقافة » في صوفيا . نظمت المعرض لجنة الثقافة ولجنة التضامن مع شعوب اسيا وافريقيا وخصص لمناسبة الذكرى الثامنة عشرة لانطلاقة الثورة الفلسطينية . وقد لاقى المعرض منذ افتتاحه اهتماما واقبالا كبيرين من الطلبة الفلسطينيين والعرب واهتماما واقبالا بصورة اكبر من المواطنين البلغار . وقد قدم التلفزيون البلغاري لقطات عن المعرض وكتبت الصحافة البلغارية باهتمام عنه وخاصة صحيفة « نارودنا كولتورا » (الثقافة الشعبية) حيث كتبت الصحيفة عن الفنان نقولا وابداعه بصورة مسهبة تحت عنوان « الملصق كسلاح ».

ضم المعرض ٤٧ ملصقا و ٢٩ رسم غرافيك تعود الى فترات زمنية مختلفة إحداثها ملصق صبرا وشاتيلا : عينين ملؤهما الغضب والقهر تسيل منهما الدماء واسفل الملصق اغصان خضراء تحمل اوراق كل ورقة تشكل خارطة فلسطين .

الالوان والصور الفنية موزعة و وتأخذ مساحتها ارتباطا بما يقوله الملصق حيث هناك البساطة القوية ذات المعنى المكثف تستدعي التأمل والسؤال والانتشار في الابعاد وفي ذات الوقت ترسل الوضوح والدقة وطرح الفكرة .

حسب الموضوعات الملصقات تنقسم الى أربع مجموعات :

١ ـ ملصقات مخصصة للقضية الفلسطينية . . الاعياد الوطنية الفلسطينية . . الصهيونية كحركة فاشية . . أسرى المقاومة الفلسطينية .

الملصقات التي لها قوة جذب خاصة فنيا وسياسيا : صبرا وشاتيلا ، والى آخر نبض في عروقي ساقاوم ،TNT ديناميت هدية اسرائيل الى اطفالنا ، ويوم الارض .

٢ ـ ملصقات مخصصة لحركة التحرر الوطني العالمي : نيكارغوا ، السلفادور ، تشيلي ، افريقيا .

الملصق الذي يتميز بخصوصية من ناحية الشكل واستخدام العناصر هو ملصق « تشيلي ». ملصق بسيط لكن لا يمكنك الا ان تقف امامه طويلا : كلمة تشيلي ينزل من احد حروفها حبل (حبل حقيقي مثبت) بشكل مشنقة ومساحة سوداء تعلن لنا : تشيلي ستشنق الظلام . ستشنق الفاشية .

٣ ـ ملصقات مخصصة للاشتراكية : ١٣٠٠ سنة بلغاريا ، ١٠٠ سنة على ميلاد جورجي ديمتروف ، ثورة اكتوبر ، المؤتمر الثاني عشر للحزب الشيوعي البلغاري ، المؤتمر السادس والعشرون للحزب الشيوعي السوفياتي ، التاسع من أيلول .

الملصق الذي يتمتع بجمال خاص في هذه المجموعة : مؤتمران وهدف واحد . وفيه يظهر العلم البلغاري والعلم السوفياتي معا يشكلان منجلا ومطرقة يحفقان متعانقين الى اعلى وقد قال الاساتذة البلغار اثناء دفاع الفنان ك . نقولا عن اطروحة الدكتوراه ان هذا الملصق هو جديد من حيث التصميم .

٤ ـ ملصقات عن عالم الرأسمالية : مخططات حلف ناتو في اوروبا ، حق التعليم ، ضد القنبلة الذرية والنيوترونية احد هذه الملصقات تظهر فيه قنابل ذرية وفي داخلها صور جثث اطفال وارجل مفصولة عن الاجساد من مجزرة الفاكهاني في بيروت .

في هذه المجموعة ايضا ملصق تظهر فيه سجائر بشكل مسلسل يؤدي الى القلب . طبيبة بلغارية حينما شاهدت هذا الملصق سمعتها تقول : هذا الملصق لي .

ان التنوع في موضوعات الملصقات لدى الفنان ك . نقولا يظهر لنا ثراء التوجه لديه والغوص في الواقع وايضا : توزع الهموم .

المأساة والمواجهة

أما رسومات الغرافيك فهي نسبياً « اعمق » من الملصقات . لأن درجة التركيب وكثافة الصور الفنية واستخدام اللون تستدعي التأمل والسؤال والبحث بصورة اكبر . في هذا المجال تبرز الرسومات التالية : أبوكاليبس ، الامبريالية . حيث يظهر الاخطبوط والشيطان والخنجر ومصاص الدماء . ملصق : وندق على أبواب الحرية ، سنقاوم .

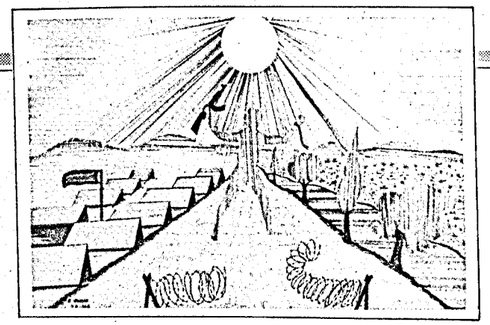

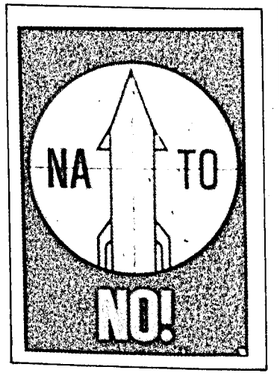

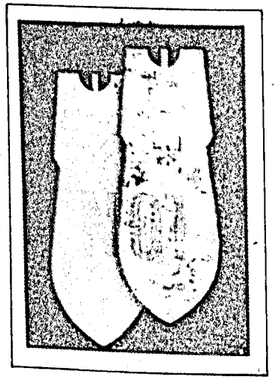

من الرسومات القوية في الغرافيك رسم « الاحتلال » : صف من الزنازين يقابلها صف من الصلبان . الاحتلال جعل من كل زنزانة أي من كل اسير فلسطيني مسيحاً .

في رسومات الغرافيك نجد ايضا رسومات تتسم بالبساطة والقوة ووضوح الفكرة سواء كان ذلك صدمة ، سخرية ، كبرياء . مقارنة . احتجاج ام مقاومة . مثل رسومات : دون بيت ، نداء الى العالم ، رسالتين من اطفال فلسطين وفيتنام .

بعض رسومات « الغرافيك » اثارت اعجاب البلغار واثارت « استغرابهم » ايضاً استغراب من نوع التعاطف والتضامن والتقدير : كيف يتمكن انسان فلسطيني لديه هذا القدر من البؤس والتشرد والغربة من ان يرسم مثل هذه الرسومات : رقص ، باليه ، مشهد بحري ، مشهد ليلي .

ان الدهشة هنا ليس لها الا معنى واحداً : انظروا ما اكبر مأساة الفلسطينيين لكنهم اقوياء .

ربما كون الفنان ك . نقولا قد عاش عشر سنوات من عمره اثناء دراسته في بلد اشتراكي قد ابرز لديه مسألة المقارنة بين عالمين : الرأسمالية والاشتراكية ، البؤس والسعادة . محاكمة داخلية في المشاعر اثارت لديه ما هو سائد عندنا وما نحن محرومون منه . وقائع اوحت له بالبديل . لكن ما هو اكيد انه اذا كان الفنان الفلسطيني تأخذ في رسوماته المساحة الاكبر عناصر البؤس والاشلاء والغربة وليس ذلك لأنه يعشق هذه العناصر بل لأن هذا واقعنا حتى الآن لاننا نحتج ونرفض استمرار هذه اللوحة .

ان الفنان ك . نقولا يقول للعالم من خلال رسوماته : اننا نقاوم عالم المأساة ومزق اللحم البشري والغربة لشيء بسيط . انساني ومشروع : ان نُحتزل عناوين رسائلنا ويصبح العنوان : فلسطين !